Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنها : «ثم رجع القول بنا إلى ذكر الإشارة» (١-٩١)؛ «ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأوّل» (١-٩٦)؛ «ثمّ رجع بنا القول إلى ذكر التّشديق وبعد الصّوت.» (١-١٣٢)، وقد يحلّ المضارع محلّ الماضي مجسّدا تطابق إنجاز الحدث وتواصل الزّمن : «ثـم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأوّل» (٢-٢٧٨) .

وهكـذا نرى كيف أن الجاحظ قد كان في صراع منهجيّ : يريد الإحكام فيصيبه حينا ويخطئه أحيانا كثيرة، فإذا هو يورد الباب الجديد ولا يعنونه (١-٢٤٤) وإذا هو يحسّ بخلل تنظيم مادّته فيوكل أمر إعادة تنسيقها إلى القارىء :

«وتلحـق هذه المعاني بأخواتها قبل.» (١-١١١) .

«يصير هذا الشّعر وما أشبهه ممّا وقع في هذا الباب إلى الشّعر الّذي في أوّل الفصل». (١-٢١٧) .

«وهـذه أبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها». (٤-٢١) .

كـلام «يضاف إلى باب الخطب وإلى القول في تلخيص المعاني». (٤-٥٨) .

كـلّ ذلك مردّه كما أسلفنا إلى استعصاء منهجيّة التّأليف على الجاحظ وهو لا يستنكف من الإقرار - في بعض المواطن - بقصوره عن إدراك حدّ من التّجريد يبوّىء التّأليف المنهج العقلانيّ الّذي يرتضيه نظريّا :

«كان التّدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن